

ذرا غك قيد شغلك

استغلال الإجازة الصيفية في التقرب إلى الله ﷻ

خطبة ألقاها

الشيخ ذو سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٢٠ شعبان ١٤٣٧ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار، ثم يا معاشر المؤمنين:

اتقوا الله حق التقوى، وتقربوا إلى الله بما يحب ويرضى، فإن أجسامكم ضعيفة على النار وشدة الحر لا تقوى، يقول النبي ﷺ: «إذا اشتدَّ الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم، اشتكت النار إلى ربها فأقلت: يا ربِّ أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشدُّ ما تجدون من الحر، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير».

الله أكبر يا عباد الله! أذاقكم الله ﷻ طرفاً من فيح جهنم، يتذكر به من يخشى.

عباد الله! عباد الله! إن نعم الله ﷻ على عباده تتوالى ووتكاثر ولا تنقطع أبداً، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

وإن من نعم الله ﷻ على العباد نعماً لا يدرك كثير من العباد أنها نعم، أو يغفلون عن الانتفاع بها، وقلَّ من يدرك أنها نعمة ويتنفع بها يا عباد الله، وإها قد تنقلب على بعض العباد من نعمة إلى نقمة والعياذ بالله.

ومن تلك النعم ما أخبرنا به حبيبنا ونبينا محمد ﷺ حيث قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

الصحة -يا عباد الله- وسلامة الجسد من الأسقام نعمة عظيمة من نعم الله ﷻ، لكن الكثيرين من الناس لا يدركون أنها نعمة، أو يغفلون عن اغتنامها فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم. ومنهم -والعياذ بالله- من يفتتر بالصحة حتى يُعملها في معاصي الله ﷻ.

وقلّ من عباد الله من يعلم أنها نعمة ويسعى في اغتنامها فيما ينفعه في دينه ودنياه، يقول النبي ﷺ: «لا بأس بالغنى لمن اتقى، وإن الصحة خير من الغنى لمن اتقى».

«لا بأس بالغنى لمن اتقى»: فمن اتقى الله فلا يُعيبه غناه، بل إن الغنى يكون خيراً له.

«وإن الصحة خير من الغنى لمن اتقى»: فالعبد الذي رزقه الله الصحة كان ذلك خيراً له من الغنى، إن اتقى الله ﷻ في هذه الصحة واغتنمها فيما يُرضي الله ﷻ، أو ما ينفعه في دنياه مما أذن الله ﷻ له فيه.

وإن الفراغ -يا عباد الله- نعمة عظيمة من نعم الله ﷻ على العبد، فكون العبد فارغاً خالياً من الشواغل نعمة عظيمة من الله ﷻ عليه.

والناس -يا عباد الله- ينقسمون في هذه النعمة إلى أقسام ثلاثة:

فمنهم: من يعلم أنها نعمة ويغتنمها فيما ينفعه في دينه ودنياه، وهذا هو الرابع، هو الفائز الذي يفوز بخير الدنيا والآخرة، فهذا العبد -يا عباد الله- إذا جاءه الفراغ جعله سبباً لأن يزداد طاعةً لله ﷻ، فإذا كان يقرأ القرآن في الشهر مرة فإنه في فراغه يحتتم في كل سبعة أيام مرة، أو في كل ثلاثة أيام مرة، يتقوى بالفراغ على قيام الليل وعلى الصيام في الأيام الفاضلات، يتقرب إلى الله ﷻ أكثر مما يتقرب في وقت شغله.

هذا العبد الموفق -الذي يدرك أن الفراغ نعمة من الله ﷻ- يجعل الفراغ سبباً لأن يصل رحمه، وأن يزور جيرانه، وأن يزور أحبائه، فيلقى الفضل والخير والأجر من الله ﷻ.

هذا العبد الموفق -الذي يدرك أن الفراغ نعمة من الله ﷻ- يجعل جزءاً من الفراغ للهو المباح، ليستحجم به، لتنشط نفسه، وليدفع عن نفسه الكسل، وليتقوى بذلك على طاعة الله ﷻ، فيكون وقته كله خيراً له، فإنه بهذه النية الطيبة يكون اشتغاله باللهو المباح ثواباً وأجرًا وقربةً يتقرب بها إلى الله ﷻ.

ومن عباد الله يا عباد الله: من يُغبن في هذه النعمة، وهذا حال كثير من المسلمين، يُغبنون في هذه النعمة، وذلك أنهم لا يستغلونها ولا يغتنمونها فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وإنما يجعلونها في اللهو المباح، فكل فراغهم في اللهو المباح، وهذا الذي يفعل هذا -يا عباد الله- لم يفعل حراماً، لكنه ضيّع على نفسه نفيس الوقت الذي يمكن أن يُغتَنَم في الخيرات.

ولذلك -يا عباد الله- فإنه يندم يوم القيامة إذا لقي الله ﷻ على ذلك اللهو، وعلى ذلك الوقت الذي ضيّعه، إن كان مُسيئاً ندم أنه لم يفعل الحسنات حتى يغفر الله ﷻ له، وحتى ترجح كفة الحسنات على كفة السيئات، وإن كان مُحسناً ندم أنه لم يزد إحساناً ليزداد رفعة ودرجة في الجنة، يقول النبي ﷺ: «ما قام قوم من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا كمثّل من يقوم عن جيفة حمار، وكان لهم حسرة».

«ما قام قوم من مجلس لا يذكرون الله فيه»: وإنما هو مجلس هو وغفلة.

«إلا كانوا كمن يقوم عن مثل جيفة حمار»: أي أن حالهم سيئة، كحال من يجتمعون على جيفة حمار.

«وكان لهم حسرة»: يوم القيامة عند لقاء الله ﷻ.

هؤلاء -يا عباد الله- لم يتكلموا في مجلسهم بحرام، ولم يفعلوا في مجلسهم حراماً، غير أنهم لم يغتنموا هذا الوقت في ذكر الله ﷻ والصلاة على النبي ﷺ، فيندمون يوم القيامة.

ويقول النبي ﷺ: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه إلا كان عليهم ترة، وما مشى أحد ممشى ولم يذكر الله فيه إلا كان عليه ترة، وما أوى أحد إلى فراشه ولم يذكر الله فيه إلا كان عليه ترة»، أي أنه ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه إلا كان حسرة عليهم وندامة يوم القيامة، وما مشى

أحد في طريق ولم يذكر الله في ممشاه إلا كان حسرة وندامة عليه يوم القيامة، وما أوى أحد إلى فراشه فنام ولم يذكر الله ﷻ فيه إلا كان حسرة عليه وندامة يوم القيامة.

فالذي يُعَبِّن -يا عباد الله- في وقت الفراغ يُضَيِّع على نفسه الخيرات، ويندم حيث لا ينفع الندم عند لقاء الله ﷻ.

ومنهم -والعياذ بالله- يا عباد الله: من يجعل هذه النعمة نقمة عليه وعلى من حوله، فيستغلها فيما يُغضب الله ﷻ، ويفعل الحرام في وقت الفراغ، لا سيما إذا اجتمع له مع ذلك القوة والمال.

إن الشباب والفراغ والجِدَّة مفسدة للمرء أي مفسدة

إن بعض العباد -يا عباد الله- رزقهم الله فراغاً، ورزقهم صحة وقوة، ورزقهم مالاً، فلم يشكروا الله ﷻ على هذه النعمة، وإنما صيروها نقمة وأعملوها فيما يُغضب الله ﷻ.

وإن المؤمن الكيس الفطن -يا عباد الله- قد يغفل، لكنّه إذا ذُكِّر تذكّر وأتاب ورجع إلى الله ﷻ.

عباد الله! عباد الله! إن من أعظم أوقات الفراغ في حياتنا: الإجازة الصيفية، التي يطول وقتها، وتمتد أيامها، وإنما -والله- لفرصة للمؤمن المبارك أن يزداد قرباً من الله ﷻ، وأن يستحجم فيها باللغو المباح، قاصداً بذلك أن يتقوى على طاعة الله، وأن يُنشِط نفسه للخيرات فيما يأتي من الأيام.

وإن من عباد الله من يُعَبِّن في هذه الإجازة فيقضيها في نوم وهو مباح، ولا يجعلها سبباً لأن يزداد قرباً من الله ﷻ، وأقبح من هذا وأشر: مَنْ يجعل هذه الإجازة سبباً للوقوع فيما حرم الله ﷻ، كالسفر إلى البلدان الخارجية لفعل المحرمات التي تُغضب الله ﷻ، وكالنوم الكثير الذي يُخرج الصلاة عن وقتها، ويُضيع الصلاة عن أوقاتها، ويُضيع الرجل به الجماعة، فإن هذا -يا عباد الله- سبب من أسباب الحرام، وكذلك أن يستغلها بعض المسلمين في النظر إلى ما حرم الله، والاستماع إلى ما حرم الله، من مسلسلات لا تأتي بخير، ومن الأغاني والموسيقى المحرمة، التي دلت الأدلة الشرعية وأقوال السلف الصالحين المباركين على أنها حرام كلها، قليلها وكثيرها، لا يحل منها شيء لعبد من عباد الله، فإن مَنْ يفعل ذلك -يا عباد الله- ويجعل الإجازة سبباً لأن يفعل المحرمات يكون بعيداً من الله، يجعل النعمة نقمة عليه والعياذ بالله.

وإنني في هذا المقام لأؤكد على أولياء الأمور أن يرعوا أبناءهم، فإن الله سائلهم عن الرعية، وما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة، فيا أولياء الأمور، اتقوا الله في أولادكم، راقبوهم بحكمة، وعلموهم برفق، وإياكم أن تغفلوا عنهم فيتخطفهم أصحاب الشبهات والغلو، أو أصحاب الشهوات والعياذ بالله.

وكم من شاب كان جيداً في دراسته، طيباً في معاملته لأهله، جاءت الإجازة الصيفية، ف قضى الوقت وقضى الليل في خارج البيت، ولا يعلم والده مع من يمشي، فعلم شرب المخدرات، فانقلبت حاله كدرًا، وتغيرت حاله تمامًا.

وكم من شاب من شباننا يصلي معنا ويصوم معنا، يحب جيرانه، يحب المؤمنين، ثم ترك في وقت الغفلة فاصطاده أهل الغلو، حتى أصبح يكره جيرانه، ويكره أهله، ويكره مجتمعه، ولربما سمع والده أنه ذهب إلى المكان الفلاني، أو المكان الفلاني، يقاتل مع العُلاة، مع الخوارج، مع المنحرفين، فيندم ولات حين مندم.

فيا عباد الله، اتقوا الله حق التقوى، واجعلوا الإجازة نعمة ورحمة عليكم، وعلى جيرانكم، وعلى أهليكم، وعلى أقاربكم، وعلى ذرياتكم، وإياكم أن تكونوا من الغافلين، أو تكونوا من المعيرين نعمة الله إلى نعمة يا عباد الله.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا معاشر المؤمنين:

إن نبينا ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم، ما وصانا إلا بخير، وما حذرنا إلا من شر، فالمؤمن -يا عباد الله- الموفق من لزم وصية رسول الله ﷺ وأطاع رسول الله ﷺ، يقول النبي ﷺ: «كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي»، قالوا: ومن أبي يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي».

وإن نبينا ﷺ قد وصّانا باغتنام أوقات الخيرات، وصّانا بأن نغتني الأوقات التي نستطيع أن نتقرب فيها إلى الله أكثر من غيرها، فقال ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سُقمك، وفراغك قبل شُغلك، وشبابك قبل هَرَمك، وغناك قبل فقرك».

فيا عبد الله! يا عبد الله! قد سمعت وصية رسول الله ﷺ، فما أنت صانع فيها؟ ها أنت حي، فيا تُرى ما تفعل في حياتك؟ هل تغتني حياتك لحياتك الأخرى، لمستقبلك الحقيقي بعد موتك؟

ها أنت -يا عبد الله- في صحة ونعمة من الله، فيا تُرى هل تغتني هذه الصحة في الإقبال على الله قبل أن يدهمك المرض فتضعف عن أن تتقرب إلى الله عز وجل؟

ها أنت -يا عبد الله- في فراغ وخلوّ من الأشغال، فهل أنت مغتنم فراغك قبل شغلك يا عبد الله؟
ها أنت في قوة، ها أنت -أيها الشاب- في شباب، فهل أنت مغتنم شبابك قبل أن يأتيك الهرم والضعف فلا تستطيع أن تفعل ما كنت تفعل في شبابك؟

ها أنت -يا عبد الله- قد أغناك الله عن الناس، فهل أنت مغتنم غناك قبل أن تُشغَلَ بفقر والعياذ بالله؟
ألا فيا عباد الله اتقوا الله، وامثلوا وصية رسول الله ﷺ، فإنه لا خير لكم ولا هدى إلا في سنة النبي ﷺ، فاتقوا الله -عباد الله- واملثوا لعلكم تفلحون.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم جليل، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال ﷺ: «من صَلَّى عليّ صلاة واحدة صَلَّى الله عليه بها عشرًا».

فأكثرُوا -عباد الله- من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، فإنه من حق رسولكم ﷺ عليكم، وفيه براءة لكم من البخل، وفيه زيادة أجر وتشريف لكم عند ربكم ﷻ، فإنّ من فضل الله عليكم أن من صَلَّى على نبيه ﷺ واحدة صَلَّى الله عليه بها عشرًا.

فاللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد،
وسلم تسليماً كثيراً، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض
اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض عنا معهم بمنك وكرمك يا أكرمك الأكرمين.

اللهم اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهم اجعل أعمالنا وأقوالنا مما
يسرُّنا عند لقائك يا رب العالمين.

اللهم ما علمته فينا من خير اللهم فثبتنا عليه وزدنا منه يا رب العالمين، وما علمتنا عليه من سوء اللهم
فتب علينا منه يا رب العالمين، اللهم فتب علينا منه يا رب العالمين، اللهم فتب علينا منه يا رب
العالمين.

اللهم اجعلنا من خير عبادك الذين طالت أعمارهم وحسنت أعمالهم يا رب العالمين، اللهم اجعلنا من
خير عبادك الذين طالت أعمارهم وحسنت أعمالهم يا رب العالمين، اللهم اجعلنا من خير عبادك
الذين طالت أعمارهم وحسنت أعمالهم يا رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ بك أن نكون ممن أنعمت عليهم فعصوك يا رب العالمين، اللهم إنا نعوذ بك أن نكون
ممن أنعمت عليهم فعصوك يا رب العالمين، اللهم إنا نعوذ بك أن نكون ممن أنعمت عليهم فعصوك يا
رب العالمين.

اللهم إنا عباد من عبادك، ضعفاء مذنبون، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نرجو رحمتك ونخاف
عذابك، اللهم فأعظنا ما نرجو وأمننا مما نخاف يا رب العالمين، اللهم اغفر لنا ولوالدينا أجمعين، اللهم
اغفر لنا ولوالدينا أجمعين، اللهم اغفر لنا ولوالدينا أجمعين.

اللهم زدنا قرباً منك، اللهم زدنا قرباً منك، اللهم زدنا قرباً منك.

اللهم قربنا من الخير وقرب الخير منا، واجعلنا من الأخيار وقربنا من الأخيار يا رب العالمين.

اللهم يا ربنا، كما جمعتنا في هذا المسجد المبارك، في هذه الصلاة المباركة، اجمعنا ووالدينا وأهلنا
وأحبابنا وجيراننا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهم لا تحرم منا أحداً، اللهم لا تحرم منا أحداً، اللهم
لا تحرم منا أحداً.

اللهمّ إنا نعوذ بك من النار، اللهمّ إنا نعوذ بك من النار، اللهمّ إنا نعوذ بك من النار.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه
على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والله يعلم ما تفعلون ومحاسب لكم غداً يا
عباد الله، وصلى الله على محمد وسلّم تسليمًا كثيرًا.